الاتجاهات الحديثة في التفسير
مقاربة تاريخية

-٢-

عبد الجبار الرفاعي

روّاد الاتجاهات الحديثة

يتفق الدارسون على ان السيد جمال الدين الافغاني كان اول من دعا إلى اعادة النظر في مناهج التفسير القديمة، ومهد للاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن، لان مشروعه الاحيائي استند إلى القرآن كمرجعية يصدر عنها في دراسة واقع المسلمين، والتبصر بمشكلاته وأمراضه، وفي تحديد الوسائل والادوات اللازمة لتقويم هذا الواقع، وبناء المقومات اللازمة لايقاظه ونهوضه.

وكان جمال الدين اول داعية مسلم في العصر الحديث يؤكد بصراحة ان السبيل الوحيد لنجاة المسلمين هو العمل بأحكام القرآن وتطبيقها في الحياة، ويرى ان بعث الأمة واستنهاضها لن يتحقق من دون (بعث القرآن، وبعث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور وشرحها على وجهها الثابت، من حيث يأخذ بها إلى ما فيه سعادتهم دنيا وآخرة).

وقد تنبه جمال الدين باكراً إلى العلة التي أقعدت المسلمين عن صياغة تفسير للقرآن يوائم مستجدات الزمان ويستجيب لرهانات العصر، فصرح ان هذه العلة تكمن بتقديس التفاسير الكثيرة التي تراكمت حول النص القرآني، عبر مختلف عصور الحضارة الاسلامية، وتشبعت بملابسات الزمان والمكان، وعقيدة المفسر، ورؤيته، المنبثقة من بيئته الخاصة، وما تمور به من اسئلة ومعارف لا تتجاوز الفضاءالداخلي للبيئة. فحين يتعامل البعض مع رأي المفسر كما يتعامل مع الوحي، يتحول هذا الرأي إلى نص ثان يطمس النص القرآني، ويحول دون استنطاقه واستيحاء دلالاته المتجددة، التي لا تنضب ابداً، فان القرآن كما يقول الامام علي عليه السلام بحر (لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون).

لقد حذر جمال الدين بشدة من الخلط بين النص القرآني (وما تراكم عليه، وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطاتهم ونظرياتهم) ووضع حداً فاصلاً بين آراء الرجال هذه والنص القرآني، وبلور منهجاً واضحاً للتعاطي مع الثاني (كوحي) والأول الذي (نستأنس به كرأي) فحسب. من هنا يجب ان نميز رأي المفسر بدقة (ولا نحمله على اكفنا مع القرآن).

ولم يتوقف جمال الدين عند هذا الحد، بل عمل على تطبيق منهجه هذا على الآيات الكريمة التي كان يستهل بها مقالاته في مجلة (العروة الوثقى) والتي تعالج قضايا الامة وهمومها، كقضية التخلف والانحطاط الحضاري، وغلبة الاستعمار وهيمنته على ديار الاسلام، والعجز النفسي وذبول العزيمة، والانبهار وعقدة الحقارة حيال الآخر.

وحينما نطالع مجموعة أعداد العروة الوثقى يلوح لنا اسلوب جديد في التفسير انتهجه جمال الدين، لا نرى ما يماثله لدى من سبقه أو عاصره من المفسرين، ذلك ان جمال الدين سعى لاستلهام الرؤية السياسية والموقف من الاحداث من روح القرآن الكريم، وهكذا كرر هذه التجربة في كل مسألة اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية، تناولها في مقالاته، فقد تصدرت مقالات جمال الدين في العروة الوثقى آيات قرآنية، وتدلت المفاهيم والرؤى المنبثة في كل مقال من معين الآية التي يستهله بها، وما يتصل بها من آيات تضيء مدلول تلك الآية، فصار المقال تفسيراً باسلوب مختلف للآية، تفسيراً لا يتورط في نقض وابرام اقوال المفسرين، ولا يستغرق في متاهات لفظية لا تتصل بالحياة، ولا يفتعل مشاغل فكرية تبتعد عن هدف القرآن في هداية الانسان، وانما هو تفسير اجتماعي يقتن موقف المواطن والأمة حيال القضايا الحياتية المتنوعة، ويصوغ رؤية سديدة من منظور القرآن، فمثلاً افتتح مجلة العروة الوثقى بقوله تعالى(ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير)، وصدر المقال الذي يليه بالآية الكريمة (سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلا)، حين تناول (ماضي الأمة وحاضرها وعلاج عللها)، وفي معرض حديثه عن (انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك) افتتح مقاله بالآية (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)، وفي مقال (رجال الدولة وبطانة الملوك) بدأ بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا..)، واورد الآية (الم، احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) في كلامه عن (امتحان الله للمؤمنين)، ولما بحث (سنن الله في الأمم وتطبيقها على المسلمين) جاء بالآية (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، وعندما بحث اثر الخوف في هزيمة الأمة وذوبانها، تحت عنوان (الجبن)، ذكر الآية (اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة، قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم). وفي بيان موقف (الامة وسلطة الحاكم المستبد) استوحى قوله تعالى (وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون)، وعندما حاول ايقاد (روح الأمل وطلب المجد) لدى الامة استلهم مادته من (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون.. ومن يقنط من رحمة ربه الاّ الضالون).

هكذا دأب جمال الدين على استيحاء روح القرآن واستلهام معالجاته لمشكلات الامة وامراضها، فباشر بذلك تجربة رائدة في رسم اصول (التفسير الاجتماعي للقرآن)، وتدشين اسسه في خطابه النهضوي.

واستأنف لاحقاً تلميذه الشيخ محمد عبده الامتداد بتجربة استاذه، في اسلوب التعامل مع تراث المفسرين، ومنهجه في الكشف عن المداليل الاجتماعية للذكر الحكيم، وهو ما يتجلى في رسالة سياسية بعث بها محمد عبده إلى أحد أعضاء جمعية العروة الوثقى، يكتب فيها (وحاذر النظر إلى وجوه التفاسير إلا لفهم لفظ مفرد غاب عنك مراد العرب منه، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصله، ثم اذهب إلى ما يشخصك القرآن إليه، واحمل بنفسك على ما يُحمل عليه، وضم إلى ذلك مطالعة السيرة النبوية، واقفاً عند الصحيح المعقول، حاجزاً عينيك عن الضعيف والمبذول). واقتفى التلميذ عبده خطى الاستاذ في تفسيره، و(طبق فيه منهج استاذه الأفغاني). وتحدث بصراحة في مقدمة دروسه في التفسير التي قررها تلميذه السيد محمد رشيد رضا، عن ان التفسير الذي يرمي اليه (هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة). وأوضح ان التفاسير السابقة ابتعد الكثير منها عن مقصد الكتاب الكريم، عبر استغراقها في مباحث البلاغة والاعراب، وتتبع القصص، وغريب القرآن، والأحكام الشرعية، وعلم الكلام، والمواعظ والرقائق، والاشارات الصوفية.

وأورد محمد عبده تساؤلاً يتكرر في عصره والعصر الذي تلاه، ويتلخص في قول البعض، بانه (لا حاجة إلى التفسير والنظر في القرآن، لأن الأئمة السابقين نظروا في الكتاب والسنة، واستنبطوا الأحكام منهما، فما علينا إلاّ أن ننظر في كتبهم ونستغني بها). ثم أجاب بصيغة استفهام استنكاري، بأن هذا الزعم (لو صح لكان طلب التفسير عبثاً، يضيع به الوقت سدى، وهو مخالف لاجماع الأمة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر واحد من المؤمنين، ولا أدري كيف يخطر هذا على بال مسلم؟!). وشدد على ان المخاطب في القرآن هم أفراد النوع الانساني في كل زمان، والقرآن أُنزل لهداية هذا النوع، (فهل يعقل انه يرضى منا بأن لا نفهم قوله هذا، ونكتفي بالنظر في قول ناظر نظر فيه، لم يأتنا من الله وحي بوجوب اتباعه لا جملة ولا تفصيلا؟!)، واردف هذا الاستفهام بنفي قال فيه: (كلا، إنه يجب على كل واحد من الناس أن يفهم آيات الكتاب بقدر طاقته، لا فرق بين عالم وجاهل).

وفي محاولات التفسير اللاحقة حرص المصلحون من علماء الدين على ترسيخ صلة الأمة بالقرآن، وباشروا تجارب رائدة في التفسير، اتخذوا كتاب الله تعالى فيها محوراً لخطابهم الاصلاحي، ووظفوا تعاليمه في مقولاتهم، واهتموا باحياء مصطلحاته ومفهوماته، وصرح الكثير منهم بعجز التفاسير السابقة عن تلبية متطلبات الأمة المتنوعة. وحرصوا جميعاً على تدريس التفسير، وتدوينه ببيان ينتفع به كل الناس، لأنهم وجدوا ان إحياء الأمة غير ممكن مالم يستند إلى بعث القرآن، واشاعة تعاليمه وأفكاره. فاقترنت دعواتهم باستلهام روح القرآن، وفهم قضايا الأمة في ضوء توجيهاته على الدوام. حتى ان المجاهد الشيخ عبد الحميد بن باديس (آثر البدء بتفسيره درساً تسمعه الجماهير، فتتعجل من الاهتداء به، ما يتعجله المريض المنهك من الدواء، وما يتعجله المسافر العجلان من الزاد)، وعكف عليه إلى ان ختمه في خمس وعشرين سنة، فاحتفلت الجزائر احتفالاً بهيجاً عام ١٣٥٧ هـ بمناسبة ختمه لتفسير القرآن. وقد ضاق المستعمر الفرنسي ذرعاً بروح المقاومة، والوعي الجديد، الذي أججته دروس بن باديس التفسيرية في الأمة، وكان بن باديس قد تنبأ بانفجار الثورة على المستعمر الغازي، (فعبأ لها الجهود، وأشار إلى جبال أوراس الحصينة، وقال لابنائه وطلابه: من هنا تبدأ الثورة.. وبايع بعضهم فرداً فرداً، استعداداً للتعبئة ولاعلان الجهاد الاسلامي والحرب ضد فرنسا، ولكن المنية عاجلته).

وكان أبو الاعلى المودودي يعمل على تفسير القرآن، وهو في غمرة مهامه في الدعوة، فأمضى ثلاثين عاماً من حياته في اعداد تفسيره (تفهيم القرآن)، ولم تثنه العوائق المتنوعة كالسجن وملاحقة السلطة عن أداء هذه المهمة. وهكذا امضى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور خمسين عاماً كاملة في تأليف تفسيره (التحرير والتنوير).

اما السيد محمد حسين الطباطبائي فقد أنفق ثماني عشرة سنة تقريباً في تدريس وتدوين تفسيره (الميزان في تفسير القرآن).

قراءة في كتاب (غرائب المكتوبجي)

بدايات الرقابة على المطبوعات

احمد الحلي

ربما يتساءل عديد منا عن سر نجاح بعض الكتب والمؤلفات واستمرار تداولها بين يدي قراء مختلفين وأجيال مختلفة لفترات زمنية طويلة، ومن بين هذه الكتب، كتاب وقع بين أيدينا بعنوان (غرائب المكتوبجي) لمؤلفه (سليم سركيس)، وهو صادر في آخر طبعة له عن دار المدى للثقافة والنشر ٢٠٠٥، ضمن سلسلة (الكتاب للجميع)، التي دأبت الدار مشكورة على إصدارها وتوزيعها لتصل إلى شرائح واسعة من المثقفين والمعنيين.

وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب (٨١) صفحة من القطع المتوسط، فإن له أهميته القصوى في تتبع واستقصاء جذور معضلة الرقابة على المطبوعات والكتب في عالمنا العربي المنكود الطالع بوجه عام وفي بلاد الشام بوجه خاص.

احتوى الكتاب الذي صدرت طبعته الأولى بمصر في العام ١٨٩٦ على مقدمة قيمة بقلم الكاتب عبد المعين الملوحي الذي استشهد في بدايته بالقصيدة التي نظمها الشاعر (معروف الرصافي) في صديقه (سليم سركيس)، وهي منشورة في ديوان الرصافي صفحة ١٧٣ تحت عنوان (تحية سركيس)، وأنشدها الرصافي في حفلة أقيمت في القدس لتكريم الكاتب سركيس في مناسبة قدومه إليها زائراً، ومما جاء فيها:

كم فاضل أكبرته قبل اللقا
حتى اذا كان اللقاء وجدت ما
إلا الفتى سركيس أي وتشرفي
فسجرت فيه من الثناء وطيسا
يعزى اليه من العلى معكوسا
بلقائه، إلا الفتى سركيسا

ومما جاء في المقدمة تعريف القارئ بمعنى المكتوبجي الذي هو (مراقب الجرائد والصحف في المملكة العثمانية)، وهذا الكتيب رفعه المؤلف هدية إلى السلطان عبد الحميد، وطبعه في مطبعة السلام في مصر عام ١٨٩٦، على حساب جريدته (المشير)، ويتضمن كما يقول مؤلفه: ما عرفه محرر المشير بنفسه، وما بلغه من رصفائه في تركيا عن مراقبة الجرائد في المملكة العثمانية، وتحدث المؤلف على الخصوص عن غرائب المكتوبجي في بيروت يوم كان اسم سوريا يشمل لبنان والأردن وفلسطين والشام، أما لفظ مكتوبجي فيتألف من كلمتين: مكتوب بالعربية وجي التركية الملحقة بمعنى عمل أو مهنة، حيث يورد سليم سركيس (٥٤) غريبة من غرائب المكتوبجي، ثم يقول؛ أوردتها للقارئ عسى أن يدرك مقدار العذاب العظيم الذي يعانيه أصحاب الجرائد في تركيا وخصوصاً في سوريا.

وللتعريف بشخصية سليم سركيس (١٨٦٩-١٩٢٦) ينقل الملوحي عن يوسف أسعد داغر ما يلي: هو صحافي كبير مجدد امتاز بالذكاء والزكانة، خدم الحرية في الصحف والمجلات العديدة التي أنشأها، فكان حر المبدأ والفكر والقلم، وهو روائي معروف بما وضع أو عرّب من القصص، اشتهر بنكاته اللطيفة ونوادره المستملحة، وهو إلى هذا كله مؤرخ وضع مذكرات أودعها مجلته المعروفة بـ(مجلة سركيس)، دون فيها ما جرى له وما عرفه من الوجهاء والأدباء والسياسيين، وهي سجل لأخبار أهل العصر وشخصياتهم ونوادرهم، عرف بتمسكه بالعادات الشرقية وأغرم بآداب العرب ودعا للأخذ بها، كان خير صلة بين الأدباء والكتاب العرب، كما كان يدأب على تكريمهم ويقيم لهم الحفلات الخاصة.

ويصل إلى القول؛ لقي من عنت قلم المكتوبجي التركي (رئيس قلم المراقبة) ما أحرجه فأخرجه، وغادر لبنان عام ١٨٩٢، وسافر إلى باريس وانتقل منها إلى لندن فالاسكندرية وفيها أصدر جريدته (المشير) الاسبوعية، فأثارت بنقدها اللاذع حفيظة الدولة العثمانية فحكمت عليه بالإعدام غياباً، ورحل إلى أمريكا وأقام فيها (٥) سنوات متنقلاً بين بوسطن ونيويورك فأنشأ فيها صحيفة (الراوي) و (البستان)، وعاد إلى مصر عام ١٩٠٥ ليصدر فيها مجلته المعروفة بمجلة سركيس، وظل يصدرها إلى آخر حياته، وقد وجد مع هذا النشاط الجم متسعاً من الوقت ليحرر في بعض الصحف المصرية الكبرى كالمؤيد والاهرام، وعمل في السنوات الأخيرة سكرتيراً خاصاً لأمراء آل لطف الله، فعهدوا اليه بالمهمات الأدبية والسياسية، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن الكتاب الذي نحن بصدده مؤلف في الأساس باللغة الإنكليزية، وقام مؤلفه بترجمته منها إلى اللغة العربية.

ورد في إهداء الكتاب: إلى جلالة السلطان عبد الحميد الأعظم، الذي وجّه اليه المؤلف سهامه اللاذعة؛ مولاي، يسوؤني أنني من جملة رعاياك لأنه يسوؤني أن أكون عبداً، وأنت عودتنا أنك تعتبر الرعية بمنزلة عبيد لك بدلاً من أن تتبع الحقيقة وهي أن تكون عبداً لنا، ولما كنت لا استطيع التخلص من هذه التابعية فعلى الأقل أحاول أن أعلن للناس أنني عبدك رغماً عني وهذا كل ما استطيع فعله الآن، لكن كما أن الدول المتمدنة قد ألغت الاسترقاق والنخاسة وأعطت العبيد السود حريتهم، كذلك قدر الله العلي الحكيم أن أخرج من مملكتك وأن أقيم في حمى حكومة مصر العادلة، فمن هذا القطر الذي أصبح سعيداً من يوم تقلص ظل نفوذك عليه أعرض على مسامعك الشاهانية ما أشكوه أنا ويشكوه سائر رصفائي في تركيا من السياسة الخرقاء التي تتبعها جلالتك، وأصرح لك غير خائف ولا وجل بأنك في سياستك هذه تسوق بلادك ورعيتك إلى خراب عاجل وسقوط سريع.

ويتطرق المؤلف إلى كيفية ابتداء المراقبة على الجرائد والمطبوعات، فيقول: " ومعلوم أن للحكومة العثمانية قوانين معلومة منشورة في الدستور الهمايوني وفي جملتها قانون المطبوعات الذي يجب أن تجري على الجرائد وفيه تحديد الحرية المعتدلة التي هي ملاك السعادة والعقاب الذي نال من يخالف ذلك القانون شأن سائر الحكومات المتمدنة، وكانت الجرائد خاضعة لذلك القانون تبدي أفكارها بحرية تامة متجنبة كل ما يكدر الحكومة حتى اذا كان عام (١٨٧٧) جعل سعادتلو خليل أفندي الخوري صاحب جريدة حديقة الأخبار مديراً لمطبوعات سوريا، فإذا نشرت الجرائد ما تظن الحكومة أنه غير مناسب، أرسل المدير تذكرة تسمى إخطاراً وهذا نصها؛ إلى صاحب امتياز الجريدة الفلانية، من حيث أن جريدتكم قد نشرت في عدد كذا مقالة مخالفة للرضا العالي، فقد أوجبت (تخديش الأذهان) فاقتضى اخطاركم انكم اذا عدتم إلى مثل ذلك تجري بحقكم المعاملات القانونية، ثم يقول: وقد كانت المراقبة في أوائل الأمر خفيفة ليس فيها شيء من العنف حتى اذا ضجر الموكل بها من مطالعة الجرائد وخشي المسؤولية انتقلت السيطرة إلى مكتوبجي الولاية، وكان يومئذ جمال بك، وهو تركي لا يعرف كلمة من اللغة العربية، ثم فصل وخلفه جابي زادة سعادتلو حسن فائز أفندي من أهالي دمشق ومن أخصاء مدحت باشا، فشدد على الجرائد حتى كادت تزهق أرواحها، ثم آل الأمر إلى أن تعين سعادتلو عبد الله أفندي نجيب المكتوبجي الحالي، وهو الذي سأورد من أعماله الغرائب والعجائب.

وبعد سلسلة مشوقة من الفذلكات والتمهيدات الضرورية، يشرع المؤلف بسرد الغرائب، يورد الغريبة الأولى التي جاءت تحت عنوان (خارطة الممالك المحروسة) وفيها نقرأ؛ عن المطبعة الأمريكانية الخاصة بحضرات المرسلين الأميركان رسمت خارطة لتدريس طلبة العلم في المدارس فبلغ أمرها المكتوبجي (الطيب الذكر)، واستدعى مدير المطبعة أسعد أفندي وجرت بينهما المحاورة التالية:

مكتوبجي: هذه الخارطة ذات ألوان مختلفة، فلماذا فعلتم ذلك؟ ولم تجعلوها ذات لون واحد؟

مدير المطبعة: إنما فعلنا ذلك بمقتضى قاعدة رسم الخارطات وجعلنا كل مملكة ذات لون يختلف عن لون المملكة الأخرى تسهيلاً للتلامذة ليتمكنوا من تمييز البلاد الواحدة من الأخرى.

مكتوبجي: ما بالكم اذاً رسمتم المملكة العثمانية بلون أبيض ومصر بلون أحمر؟

المدير: ذلك ليسهل على الطلبة تمييز الحدود عند تحديد البلدان.

المكتوبجي: بل هي خيانة منكم كأنكم تعتبرون مصر خارجة عن المملكة العثمانية وأنها مملكة مستقلة.

وفي الغريبة رقم (١١)، وجد المكتوبجي ذات يوم أنه ليس في المسودة التي قدمتها له ما يليق حذفه ولكن أبى إلا أن يحذف شيئاً اتباعاً لقول الشاعر:

إذا أنت لم تنفع فضرَّ فإنما يُراد الفتى كيما يضر وينفع

فرأى في الجريدة ذكر موت أحد الأهالي وعلى المقالة خط أسود فحذفه زاعماً أن ذلك الخط يشوه وجه الجريدة شوّه الله وجهه كما لا يزال يشوه بجهله وجه الأدب.

وفي الغريبة رقم (١٢)، وتحت عنوان (لم يمت كارنو): بعد أن صدر لسان الحال يومياً بأيام قليلة، جاءتنا رسالة برقية من صديق باريزي (باريسي) تنبأ بمقتل المسيو كارنو رئيس جمهورية فرنسا في ليون من خنجر كازاريو الشقي فنشرت التلغراف إلا أن المكتوبجي حذف خبر قتله وأمرنا أن نقتصر على ذكر موته بقولنا (انتقل إلى رحمة ربه) لأن ذكر قتل الملوك يخيف سلاطين الأتراك فاضطررت إلى أن أفعل ذلك مكرهاً.

وفي الغريبة رقم (١٤): وعلى ذكر الجمهورية أقول جرت العادة أن يرسل الناس إعلاناتهم هكذا؛ نعلن لحضرة الجمهور أننا قد أنشأنا مدرسة الخ...، فأمر المكتوبجي أن تحذف لفظة الجمهور فيما بعد من الإعلانات وتستبدل بقولنا (نعلن لحضرة العموم) بأن كلمة جمهور أو جمهورية (تخدش الأذهان) وهكذا فانك لا تجد في جرائد بيروت لفظة جمهورية على الإطلاق.

وعند الغريبة رقم (١٧)، والمتعلقة بموت شاه العجم: فشهر مايو من سنة ١٨٩٦ هجم أحدهم على المغفور له شاه العجم ففتك به برصاصة أصابته فذهبت بآمال الأعجام ونشرت جميع جرائد العالم خبر هذا المقتل الفظيع إلا جرائد بيروت فانها نشرت الخبر كما يلي: ورد قبيل عصر أمس نبأ برقي رسمي ينعى المرحوم المغفور له ناصر الدين خان شاه إيران المعظم فنكست قناصل الدول أعلامها وأسف القوم على هذا المصاب الجلل.

وفي الغريبة المرقم (٣٣) نقرأ: لما توفيت المرحومة زوجة المرحوم سعادتلو يوسف بك مطران في القاهرة، تلك الميتة المحزنة نشرت لسان الحال رسالة من القاهرة في وصف الفاجعة وصدرها الكاتب بهذين البيتين:

لابد من فقدٍ ومن فاقد فليس بين الناس من خالد
كن المعزَى لا المعزى به إن كان لابد من الواحد

فحذفَ المكتوبجي كلمة خالد من قافية البيت الأول واستبدلها بكلمة (طائد)، فقلت له: لماذا فعلت ذلك؟ قال: اسم والي بيروت خالد، قلت نعم وماذا؟ قال: لا يجوز إيراد اسم الوالي في سبيل الحزن والتعزية، قلت: الأمر لسعادتكم ولكن ما هو معنى طائد؟ قال: ثابت، قلت: وما هو أصلها؟ قال: من الطود، ولله درّه ما أقدره على هذه الاشتقاقات اللغوية في أمثال تلك المواضع. فضحكت وخرجت، وهكذا انتشر البيت المذكور على هذه العلة الخبيثة.

ونصل إلى الغريبة (٣٠)، وفيها نقرأ؛ طبع يوسف أفندي حرفوش كتباً في الأمثال باللغتين الفرنساوية والعربية، وورد في جملتها المثل الشهير (الحركة فيها بركة)، فأمر بحذف المثل من الكتاب زاعماً أن لفظة الحركة تفيد الثورة.

وفي الغريبة (٣٨): بينما كان لسان الحال ينشر رسائل مكاتبه الفاضل نسيب أفندي شبلي أثناء تجواله في أوروبا، نشر مقالة له عن إيطاليا، فوصفها وقال؛ إنها بلاد يكثر فيها المعكروني حتى لقد يلقب الطليان بـ (أمة المعكروني)، فحذف المكتوبجي ذلك زاعماً أنه مما يكدر حكومة إيطاليا، كأن جرائد سوريا تحت مراقبته أصبحت نظير التايمس والديلي نيوز حتى تقرأها حكومة إيطاليا وتهتم بأقوالها.

وفي الغريبة (٣٩): كنت أنشر في لسان الحال بعض قصص غرامية مترجمة عن اللغات الأجنبية، فصدر أمره بمنع هذه القصص، زاعماً أنها تعلم الناس العشق.

وفي الغريبة (٤١): يعترض المكتوبجي بشدة على الكاتب ويهدده ويتوعده متهماً إياه بالعمالة والخيانة، لأنه ذكر في جريدته لسان الحال أن كرستوفر كولومبس هو الذي اكتشف أمريكا قائلاً: إن العرب والمسلمين هم الذي اكتشفوها!

على أننا في النهاية نود أن نشير إلى أن الكاتب سليم سركيس لو قدر له أن يمتد به العمر ليشهد عصر سيادة الأنظمة الشمولية والدكتاتوريات التي حفل بها القرن العشرون وما كان يفعله الحكام وأذنابهم (الرقباء) مع المطبوعات التي كانت تقع تحت طائلتهم ومع أصحابها، لترحم كثيراً على المكتوبجي الذي لم يكن بيده أن يتخذ أي إجراء غير الحذف والتعديل والتوبيخ... الخ.